□)

الفتح الأول:

توضيح مسائل في القرآن (

(1) الشيخ حسنين محمد مخلوف من تفسيره «صفوة البيان لمعاني القرآن».

الأولى: في المكيّ والمدنيّ :

أشهر الأقوال في تعريف المَكِّيَّ والمدنيّ : أن المكيّ ما نزل قبل الهجرة في مكة أو في ضواحيها كمنى وعرفات والحُدَيْبية .ومنه ما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغها النبي ﷺ .

والمدنيّ: ما نزل بعد الهجرة في المدينة أو في ضواحيها : كبدْر وأُحُد وسَلْع ومنه ما نزل بمكة عام الفتح ، أو عام حَجَة الوَادع ، وما نزل في سَفر من الأسفار بعد الهجرة .

والمرجع في معرفة المكيّ والمنديّ إلى حفظ الصحابة والتابعين .ومعرفتُه تُعين تاريخ الناسخ والمنسوخ.

الثانية : في معنى السورة :

السورة طائفة من القرآن ، لها ابتداء وانتهاء ، وترجمة باسم خاص بها أو بعدة أسماء ، عُرف المشهور منها بالتوقيف من النبيﷺ .مأخوذة من سور المدينة لاحتوائها على فنون من العلوم، احتواء سُور المدينة على ما فيها ، أو لارتفاع رتبتها كارتفاعه .أو من السُّورة ، وهي المنزلة الرفيعة .أو من التَسَوُّر ، وهو العلو والارتفاع لارتفاعها بكونها من كلامه تعالى .

وأجمعوا على أن عدد سُوَر القرآن مائة وأربعَ عشرَ سورة . وَمَنْ عدّها مائة وثلاثة عشرة جعل الأنفال والتوبة سورة واحدة .

والحكمة في تسوير القرآن أن يكون أنشط للقارئ ،وابعث على التحصيل ، وأن الجنس إذا انطوت تحته أنواع كان أحسن من أن يكون بابًا واحدًا ، وفي التسوير إشارةٌ إلى أن كلّ سورة نمطٌ مستقل .

***

الثالثة : في ترتيب الآيات والسُّور وتسميتها :

ترتيب الآيات في السُّور بتوقيف منه ﷺ ، وبأمره إجماعًا .وترتيبُ السوَر توقيفيّ عند الجمهور . قال أبو بكر الأنباري :« إن جميع القرآن الذب أنزله الله تعالى ،وأمر بإثبات رسمه ،ولم ينسخه ، ولا رفع تلاوته بعد نزوله ، هو هذا الذي بين الدَّفتين ، الذي حواه مصحف عثمان ، وأنه لم ينقص منه شيء ، ولا زيد فيه شيء ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله ورتبه عليه رسوله من آي السُّور ، لم يقدَّم من ذلك موخَّر ، ولا أخَّر مقدَّم . وأن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب آي السور كلها ومواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءات ، وذات التلاوة ».

وقال البغوي : «إن الصحابة جمعوا بين الدَّفتين القرآن كما أنزله الله على

رسوله، مع غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئًا ، خوف ذهاب بعضه بذهاب حَفظَته ، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله ﷺ ، من غير أن قدّموا شيئًا أو أخّروا شيئًا ، أو وضعوا ترتيبًا لم يأخذوه منه ﷺ وكان رسول الله يلقّن أصحابه ويعلّمهم ما نزل عليه من القرآن ، على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا ؛ بتوقيف جبريل عليه السلام إياه على ذلك . وإعلامه عند نزول كل آية ، أنّ هذه الآية تُكتب عقب آية كذا في سورة كذا .ومنه يعلم أن أسماء السور توقيفية .

وقال ابن الحصّار :« ترتيب السُّور ووضع الآيات مواضعها غنما كان بالوحْي ، كان رسول ﷺ يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا .وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ .ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف» .

الرابعة : في المحْكَم والمتشابه :

من آيات القرآن آياتٌ محكَمات هنّ أمّ الكتاب وأصله ، وأُخَرُ متشابهات .

والمحكَم : ما عُرف المعنى المراد منه .والمتشابه : ما استأثر الله تعالى بعلمه ؛ كقيام الساعة ،والحروف المقطّعة في فواتح السُّور .

وقيل : المحكَم ما لا يحتل من التأويل بحسب وضع اللغة إلاّ وجهًا واحدًا ، والمتشابه : ما احتمل أوجهًا عديدة واحتاج إلى النظر ؛ لحمه على الوجه المطابق .

وقيل : المحكَم ما اتضح معناه .والمتشابه بخلافه .وهناك أقوال أخرى في تفسيرهما .وسياتي لذلك مزيد بيان أول سورة آل عمران .

وجعل الخطابي المتشابه على ضربين : أحدهما ما إذا رُدَ إلى المحكَم واعتُبر به عُرف معناه .والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته . فمن المتشابه ما يمكن الاطلاع على معناه ، ومنه ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

ومن المتشابه آيات الصفات ، نحو : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ، ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ ، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ .ومنه أحاديث الصفات .

ومذهب جمهور أهل السُّنة – ومنهم سفيان الثّوري وابن المبارك وابن عُيينة ووكيع ، والأئمة الأربعة – أنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى ، وترك تأويلها مع تنزيهه تعالى عن حقيقتها ؛ لاستحالة مشابهته تعالى بالحوادث ؛ قال تعالى : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ .

وعن أمّ سَلَمَة –رضي الله عنها – في تفسير قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ : الكَيْف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر .

وعن مالك فيه :الكيف غير معقول ، والاستواء مجهول ، والإيمان به وجاب ، والسؤال عنه بدعة .

وعن محمد بن الحسن : اتفق الفقهاء كلهم على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .

قال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتُها ، وإيّاها اختار أئمة الفقهاء وقادتها وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامُهم .

وقال إمام الحرمَيْن أخيرًا في الرسالة النظامية : الذي نرتضيه دينًا ، وندين به عقدًا اتباع سلف الأمة ، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها .

وممن ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام ابن القيمّ ومن تبعهما ، وكثيرًا من المفسرين كالبغويّ والرازي والجلالين والآلوسي ،وصاحب فتح البيان ، وغيرهم.

وذهبت طائفة من أهل السُّنة إلى تأويل هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات بما يليق بجلاله تعالى ، مع تنزيهه عن حقيقتها ؛وهو مذهب الخَلَف .

وقال الإمام الرازي : إن الذي اختاره الأئمة المحقّقون من السلف والخلف ترك الخوص في تعيين الباويل ، بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال .

ومن المتشابه :الحروف المقطّعة في أوائل السُّور ؛ فقد افُتتحت تسع وعشرون سورة من القرآن بنصف أسماء حروف المعجم ؛ وهي : الألف واللام ،والميم والصاد ، والراء والكاف ، والهاء والياء ، والعين والطاء ، والسين والحاء ، والقاف والنون.

فالمبدوء منها بالألف واللام ثلاثة عشرة ، وبالحاء والميم سبع ، وبالطاء ، وبكل من الكاف والياء والصاد والقاف والنون واحدة ، وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادي ، وص ، ق ، ن وبعضها ثنائ وهو: طه ، وطس ، ويس ، وحم ، وبعضها ثلاثي ، وهو: آلم ، وآلر ، وطسم وبعضها رباعي ، وهو آلمص ، وآلمر ، وبعضها خماسي ، وهو كهيعص ، وحم عسق . ولا تزيد على ذلك .

والمختار فيها – كما ذكره الجلال في الإتقان – :أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى . وعن أبي بكر الصديق : في كل كتاب سِرّ ، وسِرُّه في القرآن أوائل السور .

وعن ابن عباس : عجزت العلماء عن إدراكها ، وعو الشَّعبي :هي سِرّ الله فلا تطلبوه ، وممن ذهب إلى ذلك عمر وعثمان وعليّ وابن مسعود والربيع .

وخاض في معناها آخرون ؛ فقال بعضهم : إن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء الله تعالى ؛ والعرب تنطق بالحرف الواحد ، تدلّ به على الكلمة التي هو

منها .وقيل : هي أسماء للسوَر . قال الزَّمَخْشِري : وعليه إطباق الأكثر .

وأما الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور مع قطه النظر عن معانيها في أنفسها فقيل :إنما ذكرت في مفتتح السور بيانًا لإعجاز القرآن ، وأنه كلمات مركبة من حروف الهجاء التي تتألف منها الكلمات التي ينطقون بها ، وقد عجز الخلق عن معارضته ، فلو لم يكن وحيًا من عند الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضته ، حكاه الرازي عن المبرد وجمع من المحققين ، وحكاه القرطبي عن الفراء ، ورجّحه الزمخشري ، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المزِّيّ .

وقد ذكر العلماء لوقوع المتشابه في القرآن فوائد ، منها في المتشابه الذي يمكن علمه :أنه يوجب مزيد المشقة في الصول إلى المراد ،وهي توجب مزيد الثواب . ومنها :ظهور التفاضل وتفاوت درجات الخلق في معرفة القرآن إذ لو كان كله محكمًا لا يحتاج تأويل ونظر ،لاستوت منازل الخلق فيه ، ولم يظهر لا فضل العالم على غيره ،ومنها في المتشابه الذي لا يمكن علمه : ابتلاء العباد بالوقوف عنده ، والتوقف فيه ، والتفويض والتسليم ، والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة ، وإقامة الحجة عليهم ؛ لأنه لما نزل بلسانهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم ، دلّ على أنه منزّل من عند الله تعالى . انتهى .

وخلاصة القول في المتشابه فإن السلف والخلف متفقون على تنزيه الله تعالى عن مشابهة المحدثات والحوادث وعن مشابهة خلقه لكن السلف يرون التنزيه مع تعويض المعنى المراد من الآيات التي توهم التشبيه إلى الله تعالى والخلف يرون أن التنزيه يقتضي حمل الآيات التي توهم التشبيه على معنى لا تشبيه فيه ونحن لنا أن نأخذ بمذهب السلف أو بمذهب الخلف .

والملاحظ أننا نكاد نعتمد على الرموز خلال تعاملنا مع العالم الطبيعي وكائناته

كما أننا نعتمد على الرموز كثيرًا في حياتنا اليومية دون أن نشعر ، فالكلمات اللغوية عبارة عن مجموعة منسقة من الرموز الحرفية مجتمعة لكي تؤدي إلى معاني ومفاهيم ومقاصد معينة ضمن اللغة المستعملة ففي اللغة الغربية مثلا نجد الكلمة مكونة منة حروف،والكلمة تعبير تام مكتمل يفيد معنى معين متعارف عليه بين علماء اللغة أو أهل البيئة العربية التي تجد أصولها في المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية الذي نزلت في رحابه الرسالة السماوية الإسلامية الخاتمة بلسان عربي مبين على النبي الأمي العربي في المجتمع العربي في مكة ابتداء ، فالكلمة التامة هي التعبير اللغوي أو البياني عن الشيء بأسلوب حضاري مفهوم وشائع في المجتمع رغم إمكان اختلاف قراءة الكلمة الواحدة حسب اختلاف اللهجات والمصطلحات في البيئة الواحدة .

ونفس الشيء ينطبق على الرياضيات خاصة الجبرية التي تعتبر الأرقام والحروف فيها رموزًا تفيد معاني وحقائق متكاملة تدل عليها المعادلات الرياضية، كما أن الرمز يكون بالإشارة باليد لإيصال المعنى المقصود إلى الشخص المقابل ، وهو الأسلوب المتبع حاليًا .

بالنسبة للصم والبكم والمسمى طريقة «برايل» لتعليم الكتابة باللمس .

وقد أشار القرآن إلى هذا النوع من الرمز بالتعبير اليدوي حين طلب زكريا عليه السلام أن يجعل الله له آية فوجهه ربه إلى أن آيته ألا يتكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران :41] .

وقد ربط القرآن بين القرآن والمخلوقات بصفة عامة وبينها وبين الإنسان بصفة خاصة في أول سورة نزلت على النبي ﷺ وهي سورة العلق ، ووضحت الآيات الأولى من هذه السورة أن القراءة والكتابة مع فكرة مبدأ الأواسط

والأسباب هم أساس كل ما يمكن أن يتوصل إليه الإنسان من معرفة ، كما أشارت بدايات سورة الرحمن إلى مبدأ القراءة باعتباره نعمة من نعم الله على الإنسان ورحمته به : ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وإلى أن الإنسان تعلم البيان أي النطق المستعمل في اللغة – الكلمات أو الأسماء – ليتبين عن طريق القراءة والكتابة والإشارة جميع معرفة حقائق الأشياء مع ملاحظة أن القراءة تعني المعنى الواسع الذي يشمل التفكير والتأمل والنظر والاستدلال والاستقراء والاستنتاج والافتراض والبحث والدراسة والتحليل إلى غير ذلك من وسائل اكتساب الإنسان للمعرفة بالبيئة المحيطة به والبعيدة عنه .

وبذلك تكون الحقائق الثابتة التي يتوصل إليها الإنسان بنشاطه العقلي أو بصيرته الروحية ، تكون لهذه الحقائق رموزًا دالة عليها لأن هناك فارق بين الشيء ذاته وبين ما يتسمى به أو يشار إليه به ، وأبسط مثال لذلك هو الذات الإلهي تبارك وتعالى ، فنحن نقول (الله) مستعملين لفظ الجلالة باعتباره رمزًا علميًا دالاً على ذات الإله المعبود في الأديان المسمى بأسمائه الحسنى ، بمعنى أن لفظ الجلالة ليس هو الذات الإلهي سبحانه وتعالى الذي يظل ليس كمثله شيء في كل شيء سبوح قدوس .

ونفس الشيء ينطبق على أي كائن وما يشار إليه به من اسم أو وصف ، ومفهومي والله أعلم بالنسبة لتعليم الله آدم الأسماء كلها ليس معناها أن آدم عرف أسماء كل المخلوقات والكائنات التي توجد في العالم أو الكون لأن ذلك يستحيل على أي إنسان حتى إذا اقتصر الأمر على ما يوجد في الأرض والجو والبحر من كائنات ومخلوقات وهي تزيد عن البلايين ولا يمكن لآدم أو لغيره أن يحيط بها في فترة حياته القصيرة نسبيًا ، وبذلك يكون المقصود من تعلم آدم الأسماء كلها هو تمييز الله له وإعطائه القدرة على تسمية الأشياء بمسمياتها أو الإشارة إليها وتحيها بالبيان بالكلمة وهي أولى مراحل اللغة أو الرمز الدال على الحقيقة الكائنة

كأسلوب من أساليب التعبير عن المراد أو عن الأشياء في البيئة الخارجية أو البيئة الداخلية التي تتصل بالإنسان ذاته في تكوينه وخصائصه وقدراته .

والحروف التي ودرت في أوائل السور القرآنية هي حروف من جنس الحروف العربية التي تتكون منها كلمات القرآن التامات وبالتالي آيات وسور هذا القرآن العربي .

وقد أخبرنا النبي ﷺ أن هذه الحروف هي كلمات تامات ،ومن راح العديد من علماء المسلمين يجهدون أفكارهم وما تكشف عنه بصائرهم أحيانًا في فك أسرار هذه الرموز وتحديد الكلمات التي تشير إليها ، فنجد مثلا من قال : (الم) تعني يا محمد : أنت لذاتي مظهر ، و (المص) تعني يا محمد : أنت لذاتي مظهر صفاتي و (طسم) تعني يا محمد : طويت سر مكانتك ، و (حم) حفظت مكانتك و (طس) يا محمد :طويت سرك ، وهكذا (1)... وأن طه ويس هي أسماء للنبي ﷺ ، ومن العلماء من اجتهد بتفاسير أخرى غير ذلك .

وذهب عدد من أجلة المفسرين إلى أن هذه الحروف التي يتكون منها القرآن العربي ،وأن القرآن بآياته وسوره يتكون من حروف الهجاء العربية هذه التي تتألف منها الكلمات التي ينطق بها العرب ومع ذلك يعجز الجن والإنس عن الإتيان بمثله أو بسورة من مثله مما يدل على أنه وحي من عند الله تعالى .

وكل هذه المفاهيم جائزة ولكن غيرها يجوز أيضًا ، فالكون مليء بأمور غيبية كثيرة لا يزال العقل البشري عاجزًا عن الوصول إلى حقيقتها رغم التقدم الهائل في علوم الكون.

وعلى سبيل المثال فإن الحد المعاصر للعلوم الفيزيائية لا يزال عاجزًا –ربما

(1) ذهب إلى ذلك المرحوم الشيخ أحمد سعد العقاد وأستاذه الإمام محمد ماضي أبو العزائم .

لطبيعة ذاتها – عن الوصول إلى حقائق المغيبات التي لا تخضع لمجال أو مقياس الحس البشري بطبيعته والتي مع ذلك تطغى عليها العلوم الرياضية أضواء أكثر وضوحًا في البيان فالرياضيات تعتبر أعلى درجات العلوم على التغلغل النظري إلى حقائق وأبعاد تعلو عن الحقائق والأبعاد التي يعالجها علم الفيزياء وعلم الفلك الفيزيائي والرياضيات عبارة عن رموز ، وذلك يعني أن الرمز أو الرموز هي أقدر الوسائل على التعبير عن الحق ، وفي اعتقادنا أن هذا هو أنسب تفسير يوضح الحروف المتقطعة التي وردت في مطالع العديد من السور القرآنية ، باعتبار أن هذه الحروف رموز للحق الذي جاء في الكتاب بالكلمة التامة المكتملة .

ولما كانت هذه الحروف أو الرموز كلمات تامة مكتملة كما ورد في السنة الصحيحة فإن معنى ذلك أن الحق المكتمل بالكلمة هو الحق المكتمل بالرمز وهو الحرف القرآني كلاهما يعبر عن الحقيقة بالرمز التجريدي سواء بالحرف اللغوي أو بالمعادلة الرياضية والتعامل مع الحق في الوجود يكون في أعلى صورة بالرمز الرياضي وعن طريق هذا الرمز يكون الإدراك في أعلى مستوى ممكن للحق في الوجود ولكنه في نفس الوقت يعتبر عجزًا عن الإدراك لأنه إدراك قائم على النظر المجرد ، والافتراض التجريدي لا يصل إلى كنه أو ذات الحق مرئيًا أو مشهودًا ، نفس الأمر بالنسبة للحق الخالق تبارك وتعالى ، فالتعامل معه يكون في أعلى صورة بالرمز البياني اللغوي ، وبهذا الرمز البياني اللغوي – والذي اختير له الحرف العربي – وكما نفهم من لفظ الجلالة ذاته (الله) الذي هو عبارة عن اسم علم أي رمز على الذات ؛ الأمر الذي يكون معه الإدراك للأسماء بالتجريد دون معرفة لكنه الذات ، ويتحقق بذلك ما قلناه في غير هذا الموضع نقلاً عن بعض الصوفية :« من أن العجز عن الإدراك هو في الحقيقة قمة الإدراك ».

وتعتبر الأرقام والأعداد هي الأخرى رموز لحقائق تتصل بها هذه الأرقام والأعداد ..وقديمًا وعند اليهود على وجه خاص ، كما عند المسيحيين في زمن

طغيان الحكم الروماني وبطشه بهم ، كانت الأعداد تستخدم كرموز للدلالة على كلمات وكانت طريقة الكلام الرمزي بالأرقام والأعداد أسلوبًا متبعًا في ذلك الوقت تحمي به الأقليات اليهودية والمسيحية من بطش الرومان.

الخامسة : في أقسام القرآن (1) .

أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين ، وجاء فيه في مجادلة المنكرين ومراغمة الجاحدين ، وفي تقرير الحقائق ، والكشف عن الدقائق ،وبيان عظيم قدرته تعالى ، وبديع صنعته ، وبالغ حكمته وعظمة ملكه ، وسننه في خلقه – بالحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة ، يصرّف الآيات للناس لعلهم يفقهون ، ويضرب لهم المثال لعلهم يتذكرون ، ويؤكد لهم الأخبار بمختلف الأقسام على أسلوب فصحاء العرب في مخاطباتهم ومحاورتهم ؛ فقد كانوا إذا أرادوا توكيد الأمر وتحقيقه ، أقسموا عليه بالعظيم الخطير الشأن ، أو الكثير النفع ، أو الظاهر الفضل .

وتوكيد الكلام بالقَسم إذا اقتضاه الحال أسلوبٌ بليغ رصين . ولله تعالى أن يُقسم بما شاء . فأقسم تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع ، لتقرير وجوب الإيمان ، والطاعة له .وأقسم بأفعاله العجيبة ومصنوعاته البديعة ، فقال : ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾. وقال :﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ .والقَسَمُ بها في معنى القَسم به تعالى ؛ إذ هو صانعها ومبدعها .

قال ابن القيم : إنه يُقسم في القرآن بأمور على أمور ؛ فيقسم بذاته الموصوفة بصفاته ، وبآياته المستلزمة لإثبات ذاته وصفاته ، ويُقسم ببعض مخلوقاته ؛

(1) المرجع السابق للشيخ حسنين محمد مخلوف .

للدلالة على أنها من عظيم آياته .

وقد يأتي في القرآن بالقَسَم الظاهر كقوله تعالى : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ، ﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ﴾ .وقد يأتي بنحو قوله :﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ ، وبنحو قوله : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ .

وقد أقسم تعالى على التوحيد ، وعلى أن القرآن حق ، وعلى أن الرسول حق ، وعلى الوعد والوعيد ، والجزاء ، وعلى حال الإنسان وطبيعته ، وكثيرًا ما يُذكر جواب القسم ، وقد يحذف للعلم به ، أو لوجود ما يدلّ عليه .

وبالتأمل في كل قَسم من أقسام القرآن تظهر المناسبة الدقيقة بينه وبين المُقسم عليه ، وهو نوع بديع من وجه بلاغة القرآن .

السادسة : في الاستعاذة .

لما كانت الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تطهّر القلب ، وتطرد عنه الوساوس والهواجس ، وخواطر السوء ، كان السُّنة الاستعاذة عند إرادة القراءة خارج الصلاة ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾. فيقول القارئ : أعوز بالله من الشيطان الرجيم ؛ على ما اختاره أحمد ، رضي الله عنهم . أي ألتجيء إلى الله تعالى ، وأستجير به ، وأتحصّن مما أخشاه من الشيطان الطريد من رحمته تعالى يقال :عُذْتُ بفلان ،واستعذت به ، أي التجأت إليه وتعلّقت به ، ومنه : أعيذك بالله أن تفعل كذا ومعاذَ الله ، وعِياذَ الله .

السابعة : في البسملة.

ذهب كثير من القراء والأئمة إلى أن البسملة و ليست آية من الفاتحة ، ولا من غيرها من السوَر ، وإنما هي آيةٌ واحدة من القرآن ، أنزلت للفصل بين السّور والتبرك بها في الابتداء ، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك وذهب آخرون إلى أنها آيةٌ من

الفاتحة ، ومن كل سورة غير براءة .وإليه ذهب الشافعي ، وأحمد في إحدى الروايتين عنه .وهذا كله في غير بسملة النمل [آية 30] فإنها جزء آية باتفاق .

الثامنة : في التأمين .

يُندب للقارئ بعد الفراغ من الفاتحة أن يقول «آمين» مفصولةً عنها بسكتة خفيفة ، ومعناها : استجب يا الله ، أو افعل . وليست من القرآن باتفاق ؛ ولذا اجمعوا على دعم كتابتها في المصاحف.

ثم في الفهم والتأمل :

روى ابن حبان عن ابن مسعود أن رسول الله قال ك « إن للقرآن ظاهرًا وباطنًا وحدًا ومطلقًا » وليس الباطن هو الذي يقول به بعض غلاة الشيعة والباطنية أو أنه الذي اختص به أوصياء النبي ﷺ .وقد أشار الصحابي أبو الدرداء على أنه :« لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهًا » كما كان حجة الإسلام الإمام الغزالي يقول إن المعنى الباطن في آيات القرآن هو تحدي الرقائق التي تكون في ؟؟؟؟؟؟ ألفاظ القرآن .الأسرار التي لا يدركها إلا العلماء الراسخون في العلوم المختلفة كل بمقدار طاقة علمه بعد فهم ظاهر اللفظ وما فيه من مجاز وحذف وإضمار وعموم وخصوص وإطلاق وتقييد . وكان رضي الله عنه يقول كذلك : « إن الاستيفاء لا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والشجار أقلامًا فأسرار كلمات الله عز وجل لا نهاية لها فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير إن كان ظاهر التفسير لا يُغني » وطبعًا الناس يتفاوتون في الفهم كما ذهب إلى ذلك على بن أبي طالب كرَّم الله وجهه والذي روى عنه قوله : «ليس كل ما يعرف يقال ولا كل ما يقال جاء أوانه ولا كل ما جاء أوانه ظهر أهله ».

وكما يقول الدكتور عبد المعطي محمد بيومي عميد كلية أصول الدين الأسبق بجامعة الأزهر :« منذ نزل القرآن الكريم كان كل عصر يرى فيه رؤية جديدة تعينه

على فهم الآيات بما يحصله من ثقافة استقاها من آفاق العلم والمعرفة السائدة .وكل إنسان يقرأ القرآن يفهم منه بقدر ما وهبه الله من قدرة على الفهم وبما أسبغه عليه من علوم وثقافة وبما اتسع به أفقه من دراية بالحياة وشؤونها هذا وإن الاجتهاد في فهم النص هو غير النص فلئن تبين خطأ الاجتهاد فلا ضرر ولا ضرار لأن النص باق على اعتباره والإيمان به ولا يختلف التفسير العلمي في ذلك عما سواه من التفسيرات » . انتهى .

وتقول الدكتور عائشة عبد الرحمن [1] (بنت الشاطئ): « تتابع الأجيال ، كل جيل خلق لزمان غير زمان سالفه وخلقه ، وعطاء القرآن غير محظور ولا مقطوع ، وتظل قيمه ومثله العليا مطمح الإنسانية على تفاوت الأجيال ومرَّ الزمان ، تعرج غليها على مراقي تطورها وطموحها .. والمر يختلف تمامًا إذا اختلط فهم القرآن بتفسيره فيتصور البعض أن إباحة فهمه لكل الناس تعني إباحة تفسيره دون قيد أو شرط ، لأن التفسير يقدم للناس فهم المفسر للنص القرآني . وغير متصور أن يتصدى لتفسير أي نص من لا دراية له بأسرار لغته وفقه سياقه ودلالاته .. فالنصوص يفهمها من شاء كيف شاء لكن تفسيرها للناس والفتيا بها مقصور على ذوي الفقه بها والاختصاص وهؤلاء أنفسهم يتفاوتون بقدر درايتهم بأسرار النص .. ومحاولة فهم القرآن لا يمكن أن تتعرض لإنكار أولا رفض إذا كانت من قبيل التماس عطائه المباح لخلق الله على أن تبقى في نطاقها الخاص المحدود فلا تتخذ ذريعة إلى انتحال تفسيره للناس ، والجرأة عليه ، بغير ضابط ولا قيد .. » انتهى .

وأقول إن الفهم للآيات القرآنية وبيان مقاصدها ومعانيها ومراميها يجب أن يكون هدفه تجلية هدايات القرآن وتعاليمه وأوجه إعجازه في مجالاته المختلفة خاصة إعجازه العلمي الذي تحتاج إليه ويحتاج إليه الناس ، كل الناس ، في

(1) أستاذ الدراسات القرآنية بكلية الشريعة ودار الحديث بجامعة القروين بالمغرب الشقيق في كتابها «القرآن وقضايا العصر» الناشر دار العلم للملايين بيروت – لبنان .

عصرنا عصر العلم الذي تقدمت فيه البشرية في العلوم وفنونها وتطبيقاتها .

وكما يقول الأستاذ الدكتور عبد الله شحاته في «تفسير القرآن الكريم» :«إن المنهج الإلهي ليس عدوًا لإبداع الإنساني إنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحية وذلك كي ينهض الإنسان بمقام في الأرض .هذا المقام الذي منحه الله له وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيقه ، ونسقًّ بين تكوين هذا الكون ليملك الحياة والعمل والإبداع ، على أن يكون هذا الكون لملك الحياة والعمل والإبداع ، على أن يكون الإبداع نفسه عبادة لله ووسيلة من وسائل شكره على آلائه العظام » انتهى .

وكما يقول الشيخ محمد الصادق عرجون في كتابه «القرآن العظيم » : «فإن الجانب الكوني في آيات القرآن الحكيم ، وهو جانب مهم جدًا لأنه عماد الدلائل الإلهية على وجود الله تعالى وتوحيده وباهر قدرته وواسع علمه ولطيف حكمته وسائر ما يجب له تعالى من الكمال في حاجة ماسة إلى إعادة النظر فيه للتفسير والبيان بأسلوب علمي يبرز عن طريقة ملاحظة الظواهر الكونية حجة الله على خلقه ويكشف عما في الآيات من أسرار فاطر الله بها كثيرًا من منافعنا ومصالحنا في الدين والدنيا ، وقد أشار إليها القرآن في آياته ودلائله وبدأ العلم يكشف عنها الحجب ولكن على شرط أن تحذر فلا تخضع القرآن لنظريات لا تزال في مهب التجارب وقد تعصف بها فتصبح من قبيل الأساطير فتقول إنها تفسير لآيات القرآن كما صنع بعض المتحمسين وبعض المخدوعين ببريق العلم التجريبي . والقرآن أنما تفسره الحقائق والبراهين التي يحققها البحث العلمي المستند إلى الأصول الإسلامية وقضايا العقل المستقيم – والنظر في تفسير الآيات الكونية يجب أن يقتصر أولاً على تبين هداية القرآن تبينًا علميًا لا على أساس أن نجعل النظريات العلمية هي تفسير الآيات القرآنية ومعانيها التي قصدها القرآن الكريم

لا ولكن على أساس أن القرآن الكريم هو يصادم علما ثبت بالبرهان القطعي ثبوتًا لا يحتمل الارتياب وهذا يتطلب بإلحاح من العلماء المسلمين أن يتسلحوا بالعلم والمعرفة بأوسع معانيها بقدر ما تتسع له الطاقة البشرية ..» انتهى .

إن الكون بكل ما فيه من موجودات وكائنات وأشياء عبارة عن (معلومات) مختزنة فيه أو طليقة منه وهي ليست إلا تعبيرًا عن (المعلوم) الله (العليم) في علمه الأزلي الأبدي الذي يتصف به في أوليته وآخريته وهو الأول الذي لا بداية له والآخر الذي لا نهاية له وقد وسع كل شيء علما ولا يحيط أحد بشيء من علمه فيما تكشفه هذا الحد إلا بما يشاء الله نفسه كما يقول في القرآن العظيم :﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أي من العلم أو من وسائل تحصيله . إن الكون وكل شيء موجود هو تعبير المخلوق الموجود بكل صفاته وخاوصه وخصائصه وحقائقه وطبيعيته وفطرته ومعلوماته المختزنة فيه ، تعبير مطابق تمامًا لأصل المعلوم لله في علمه المحيط بكل شيء والذي وسع كل شيء علمات وخلق وأوجد كل شيء وفق علمه بإرادته وأمره بسر الكلمة (الكنتيه) (كن) التي توجد كل شيء (يكون) كما يقول القرآن العظيم : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:82- 83] .

ولما كان القرآن العظيم أنزله الله بعلمه أي متضمنًا علمه سبحانه فإن القرآن في معلومات آياته يحيط بكل شيء في الكون إحاطة شاملة وكاملة ومحيطة لأن الله سبحانه وتعالى هو المصدر الموجود للكون (الكتاب المنظور) وللقرآن العظيم (الكتاب المسطور) وهو معنى الآية ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[الأنعام:38] والإتيان متطابقان ومتضمنان لعلمه وكائنات وفق علمه وكمال قدرته قديمًا (القرآن) ومحدثُات (الكون) . ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:166] . وعلمه سبحانه الكلي الشامل والمحيط بكل شيء لا اختلاف أو خلاف بينهما . ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا

نَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:61] .

إن القرآن العظيم يبين ويوضح لنا في آيات فيه لأن سر الوجود الكوني المخلوق وكل وجميع المخلوقات فيه هو(المعرفة) بخالق الوجود الأحد (الله) الاسم العلم الدال على الذات المعبود الجامع للأسماء الحسنى كلها والصفات العلى كلها التي تجمعها في وحدتها اسم الله الرب ، رب العالمين ، المعبود وحده دون غيره وبلا شريك الذي خلق كل شيء موجود في الوحود كما يقول القرآلآن العظيم وخلق الإنسان وسواه وعدله ونفخ فيه من روحه وميزه (خلقا آخر) كما يقول أيضًا القرآن العظيم متمتعًا بالعقل النابع من نفخه الروح والذي تميز به آدم الجنة الخليفة في الأرض الذي خاطب الله سبحانه وتعالى بشأنه الملائكة النورانيين الإنسان الفريد المتميز المستقل في نوعه عن كل مخلوق غيره بروحه وبعقله الذي كان به حاملا للأمانة أي التكليف الذي يحاسب من خلاله على سعيه في الحياة الدنيا إن خيرًا فخيرًا (الجنة) وإن شرًا فشرًا (النار) في يوم أنه لا ريب فيه تقوم فيه ساعة الحساب وتكون فيه القارعة للناس فمن ثقلت موازينه فأمه هاوية وهي نار حامية . إن العقل هو أساس التكليف والعمل هو أساس الحساب والإيمان هو أساس الفوز والتوحيد هو أساس المغفرة والرضا من الله ونوال رحمته وبه النجاة وحقيقة لا إله إلا الله والنجاة فيه محمد رسول الله . وكما ذكرنا في البداية فإن المعرفة هي جوهر العبادة ، والعلم هو سر السعادة والعلماء فيما يعلمون درجات ومستويات أو كذلك في تقدير العليم الخبير ومقامات العلماء عنده سبحانه :﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[المجادلة:11] وعنده سبحانه وتعالى لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، لن العلم مقياس الأقدار للناس ومقاماتهم في مستوياتهم من الرفعة والتقدم والتمدن

والتحضر .. وهو سبحانه وتعالى عليم بكل شيء وفوق كل ذي علم عليم ..

وفي الوصف المحيط بما وفيما أقول والصحيح لما أقول كان أول آيات التنزيل في القرآن العظيم الموحي به إلى النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه شاملة وبعده عن حقائق الإلوهية وقدراتها في الخلق وخاصة خلق الإنسان وما علَّمه ووسائط تعليمه لما لا يعلم كما جاء في أول التنزيل في سورة العلق :﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:1 – 5] .

وربما لا أكون متجاوزا للحق إذا قلت أن التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن العظيم فيما ثبت من قوانين العلم ويقينه ، يلقي أضواء جديدة على عظمة هذا القرآن وجوانب من إعجازه يمكننا أن نلاحظ التطابق التام بين كلام الله المقروء (القرآن الكريم) القديم وبين كلمات الله المنظورة (الكون العظيم) المخلوق .

فالقرآن العظيم وإن لم يكن كما سبق وذكرنا كتابًا للنظريات العلمية المفصلة إلا أنه يجمع الحق والحقائق في الشكلين المعروفين للإنسان : البياني والخلقي . كما يكونان في كتاب الله أي الكون الطبيعي والقرآن العظيم وكلاهما كتاب الله ، وهذه الوحدة للحق والحقائق هي من أخص خصائص القرآن الإعجازية : ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:53] . فالراسخون في العلم يؤمنون بالله وبالقرآن العظيم لأن الحق قد تبين لهم في وحدته الكاملة الشاملة في كلام الله (القرآن) وخلق الله (كلماته) في الوجود الكوني كلاهما كتاب الله ينطق بالحق . ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران:7] وكلاهما مصدرها واحد هو الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد . ﴿بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل

عمران:7] . والخلاصة في فهمنا أن هناك فرق بين كلام الله (القرآن) وبين كلمات الله بمعنى 0المخلوقات) وبين السورة التي ذكرناها – سورة العلق – يمكن أن نستشف منها هذا الفرق ، فالإنسان مطالب بالقراءة (النظر والتدبر) في القرآن العظيم (كلام الله) وفي الخلق الكوني (كلمات الله) وكلاهما (كتاب) مسطور أو منظور وكلاهما آياته لا تنفذ وهي دالة على أحديته وقدرته وطاقته وعظمته وحكمته سبحانه بهذا إلخ سواء في الإنسان أو في نفس الإنسان يجمع الحق والحقائق فيها القرآن العظيم كلام الله الخاتم الموحي به إلى خاتم أنبيائه ورسله لمحمد ﷺ . فالكلمة – وجمعها كلمات- تكون بالأمر الإلهي المعبر عن الإرادة الإلهية وينتج عنها عمل أو صنعة أو خلق يتحقق في الوجود يقدره صاحب الكلمة والأسلوب الذي يريده ويحدده بسر معنى :﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس 82- 83] . أي بالفورية أو بالتطور الموجه منه .

وكما يقول لنا القرآن العظيم آيات التنزيل الأولى في سورة العلق – والتي ذكرناها فيما سبق – فإن القراءة وبمعنى النظر والتأمل والبحث والمعرفة والعلم والتدبر والاتعاظ والادكار تكون في حقيقة الأمر موصولة بالله رب العالمين وخشيته وتقواه وهو الخالق البارئ والصانع المصور : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق:1]. وهي القراءة الصحيحة والمطلوبة التي تحوي الإيمان والإحسان واليقين بمقاماته ومستوياته من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين في إسلام لله وتسليم لجنابه قوامه التوحيد في لا إله إلا الله وتمامه في محمد رسول الله . والقراءة التي تكون فيها الرؤية والشهود والنظر يجب أن تكون غير محدودة وغير مقيدة وغير محيزة وبغير قيود بل وفوق الإطلاق والتقييد والنسبية أو داخل الإبعاد والقيود وإنما في إطار الوصف القرآني .﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾

[الشورى:11] .أي في كل شيء بالتنزيه اللائق وتقديس الجناب الإلهي المقدس عما لا يليق في حقه وبما يليق في حقه من تنزيه وكمال في أحديته وواحديته ووحدانيته الذين ينتفي معها الشرك والشريك من مفهوم :﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ومفهوم :﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وكما في سورة الإخلاص كاملة في القرآن العظيم ، وكما في لوازم التقديس وحقائق وأسرار ومعاني الاسم الحق (القدوس) وهو المنزه عن كل وصف يدركه الحس أو يتصوره الخيال أو يسبق إليه الوهم أو يحتاج به ضميرًا أو يفض به تفكير أو يتمثله مثل أو يشبهه بالمحدثات تفكيرًا وفكر من ولأن أحدا لا يحيط به علما كما يقول القرآن العظيم . ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه 110] .وذلك في كمال وكمال ما يقوله القرآن العظيم . ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[السجدة:7] . ﴿ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:2] وكمال . ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك:3- 4] وهذه قراءة لإنسان في عبادته لربه بالذكر والفكر والتدبر والادكار والحضور والتسبيح والخضوع والتسليم والافتقار كما في عبادة الصلاة والسجود فيهما الذي يكون فيه الإنسان العبد أقرب ما يكون من ربه .

كما حدثنا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه وهو في مقامه العالي الرفيع في الدنيا والمحمود في الآخرة والذي تناول قدرة القرآن العظيم في كثير من آيات في سوره.

إن العوالم العاقلة أو الزكية كثيرة في الوجود الكوني كما يخبرنا القرآن العظيم ومنها الملائكة والروح القدس والجن والحيوانات والإنسان وهي تتفاوت في قدراتها العقلية وعندما علَّم رب العزة الإنسان العاقل آدم الأسماء كلها فإنه سواه ونفخ فيه من روحه ليكون جامعًا في هيكله ظاهرًا وباطنًا لكثير من الطاقات في طبيعيته وفطرته وفي قدراته الجسدية والعقلية والروحية . أما سر الكلمة فهو سر

الخلق أي سر المخلوقات كلها في الوجود الكوني الذي يتكون في حقيقته من مادة وطاقة يعكسان وجهًا واحدًا للكون أي يعتبران جانبان لوجه واحد وليس وجهان حيث أن المادة تعتبر طاقة مخزونة . هذا وإن عملية الخلق والإيجاد والصنع والتصوير الإلهي مستمرة بقدرته سبحانه وتعالى كما يقول القرآن العظيم في سورتي الكهف ولقمان :﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف:109] و ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:27] فكلمات الرب أو كلمات الله يصح أن تفهم أنها المخلوقات الخاضعة للربوبية وللألوهية وهي عند كلام الله الذي هو صفة من صفاته تعكس علمه القديم الأزلي الأبدي الذاتي اللانهائي الذي يشمل وتنطوي تحته كافة المخلوقات التي هي كلمات الرب أو كلمات الله ، وآخر كلامه سبحانه هو القرآن العظيم الموحى به إلى آخر وخاتم انبيائه ورسله محمد ﷺ كلام الله القديم الذي لا يتجدد في ذاته وإنما يمكن أن يتجدد في فهم معانيه ودلالات آياته بمعرفة الراسخين في العلوم الذين يشاهدون تطابق معاني آيات القرآن وآيات الخلق في الكون وفي النفس حتى يتبين لهم الحق فيهما واضحًا جليًا وكما ذكرنا سابقًا: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:53]إن الذي يتدبر آيات القرآن العظيم يجد في الكثير من المواضع الصلة واضحة بين الله سبحانه وتعالى وبين مخلوقاته وهل الصلة التي تتضح في العلاقة بين أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى وبين المخلوقات كلها حيث إن الله سبحانه وتعالى الذي له الأسماء الحسنى هو خالق كل شيء وواضح النظام والقانون والسنة السلوكيات كل شيء أو كما يقول : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:2] وذلك من خلال ما نفرق أو قد نعرف مستقبلا من صحيح سلوك المادة . والطاقة والكائنات الحية والخواص الدقيقة لكل منهم .أما الإنسان فقد حدثنا القرآن العظيم في الآية

الخامسة والثلاثين من سورة النور عن مثل نور الله ، نـور السـموات والأرض ، في مخ وعقل وقلب الإنسان . في المشكاة والمصباح والزجاجـة والشـجرة الموقـدة يضيف بـذلك ؟؟؟؟؟؟؟ الإدراك والـوعي العقـلي والكـلي لـدى الإنسـان حيـث المشكاة هي الجمجمة والزجاجة هي المخ والمصباح هو العقـل والشـجرة هـي الطاقة الكهرومغناطيسية .. والله أعلى وأعلـم : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النور: 35] .